﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٧٥﴾ [النّساء: 75]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المناسبة بين الحثّ على الجهاد، وبين تقريعِ المتقاعسين وطمأنة المستضعفين

لَمَّا أمرَ اللهُ ﷻ في الآية السَّابقة المؤمنين بالجهادِ في سبيلِه، لإعلاءِ كلمةِ اللّه العظيم، ونصرِ دينِه القويم، ووعدَهم بإحدى الحُسنيين، إمّا بالنّصر المبين، وإمّا بالأجر المكين، ، جاءَ بيانُ اللّه في هذه الآية، لِيحُثَّهم على الجهاد، ويلومهم على تركه، إذ لا عذرَ لقادرٍ مستطيعٍ، في أن يُسهمَ في نشرِ التّوحيدِ، والعدلِ الرّشيدِ، خاصّة أنَّ فئةً من ضعفاء المسلمين، قد نالهم أعظمُ الظُّلمِ من أعدائهم، فاستغاثوا باللّه، سائلين الفكاك من القرية الظّالم أهلها، لعلّهم يجدون ملجأ أو منجى من القهر والطّغيان.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ﴾: الضَّعفُ: خلاف القُوَّة، وقد ضَعُفَ فهو ضعيفٌ.والضَّعفُ قد يكونُ في النَّفس، وفي البَدَن، وفي الحال، والضَّعفُ والضُّعفُ لغتان. وقيل: الضَّعفُ: في الرَّأي، والضُّعفُ: في البَدَن. قال تعالى: ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ﴾ [الأنفال: 66]، وقوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨﴾ [النّساء: 28]، أي: يَستميلُه هواه[1]، واستَضعفتُه: وجدتُه ضعيفًا، كما في الآية الَّتي معنا، ويُقابِلُ الاستضعافُ الاستكبارَ في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ

(1) الفيروزآبادي، القاموس: (ضعف).

ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾ [سبأ: 33][1]، واستضعفه: أي قهره لضعفه، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ﴾ [النّساء: 98]: يعني الّذين ضَعُفوا عن الهجرة، وأمّا قوله: ﴿كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ﴾ [النّساء: 97]، فيقال: إنّها في قوم مخصوصين أسلموا خفاءً ولم يهاجروا مع الطّاقة على الهجرة[2]، وقال ابن الأثير: يقال: تضعّفته واستضعفته بمعنى الّذي يتضعفّه النّاس، ويتجبّرون عليه في الدّنيا للفقر، ورثاثة الحال[3].

2) ﴿وَلِيّٗا﴾: الولاءُ والتّوالي: أن يَحصُلَ شيئان فصاعدًا حصولًا ليس بينهما ما ليس منهما، ويُستعارُ ذلك للقُرب من حيث المكان، ومن حيث النِّسبة، ومن حيث الدِّين، ومن حيث الصَّداقة والنُّصرة والاعتقاد[4]، والوَليُّ والمَولَى يُستعملان في ذلك، كلُّ واحدٍ منهما يُقالُ في معنى الفاعل، أي: المُوالي، وفي معنى المفعول، أي: المُوالَى، يُقالُ للمؤمن: هو وليُّ الله (ﷻ)، ولم يُـرِد مَولاه، وقد يُقال: الله تعالى وليُّ المؤمنين ومَولاهم، فمِنَ الأوَّل قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: 257]؛ ولذلكَ دَعاه ﷺ المُستضعفون في الآية الَّتي معنا، فقالوا: ﴿وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا﴾[5]؛ وكذلك جاء فعل المدح مُضافًا إلى المولى والنّصير، وهو الله ﷻ في قوله تعالى: ﴿نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٤٠﴾ [الأنفال: 40]، وجاء الأمر بالاعتصام بالله، وهو المولى والنّصير في قوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾ [الحجّ: 78]، ونفى الله تعالى الوِلاية بين المؤمنين والكافرين في غير آية، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ [المائدة: 51].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يُحرِّضُ ﷻ في هذه الآية الكريمة، عبادَه المؤمنين على الجهاد في سبيله، وعلى السَّعي في استنقاذ المُستضعَفينَ بمكَّةَ منَ الرِّجال والنِّساء والصِّبيان، المتبَرِّمين منَ المُقام بها؛ بسبب ظُلم الكفَّار لهم؛ ولذلك فهم يدعون ربَّهم أن يُسخّرَ لهم من عنده سبحانه وليًّا

(1) الرّاغب، المفردات: (ضعف).
(2) نشوان الحِميري، شمس العلوم: (الاستضعاف).
(3) الزَّبيديّ، تاج العروس: (الاستضعاف).
(4) الرّاغب، المفردات: (ولى).
(5) الرّاغب، المفردات: (ولى).

تحريض المؤمنين على القتال، لإعلاء كلمة الله، ونصرة المستضعفين

وناصرًا[1]، وأن يخرجهم من تلك البلدة الظّالم أهلها، وأن يسخّر لهم من عنده من ينصرهم، وينقذهم ممّا هم فيها[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

الاستفهام الإنكاريُّ والالتفاتُ، وأثرُهما في تجلية المعنى:

إفادة سياق النّظم بيان ضرورة الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله

قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ استفهامٌ إنكاريٌّ، أي: لا شيءَ لكم في حال لا تُقاتلون، والمُرادُ: أنَّ الَّذي هو لكم، هو أن تُقاتِلوا، فهو بمنزلة أمر، أي: قاتِلوا في سبيل الله لا يَصُدُّكم شيءٌ عنِ القتال[3]. وجاء هذا الخطاب للمأمورين بالقتال على طريقة الالتفات عمَّا سبق؛ مبالغةً في التَّحريض عليه، وتأكيدًا لوجوبه[4]، ومِن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ [البقرة: 246]، وهذا الكلام من بني إسرائيل، بدليل ما ورد في صَدر الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [البقرة: 246]، ولكنَّهم تقاعسُوا وتَخاذلُوا عنِ القتال الَّذي كانَت دعوتُهم إليه مجرَّدَ أُمنيّةٍ لا رصيدَ لها في الواقع، بدليل ما وردَ في ذَيل الآية نفسِها: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾. وقولُه: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، أي: لأجل دينه ولمرضاته، فحرفُ ﴿فِي﴾ للتَّعليل.

ضرورة تخليص فئات المُستضعفين من أذى الكافرين الظّالمين

دلالة توالي المعطوفات، في قوله: ﴿ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾:

قولُه: ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ في عطفِه على ما قبلَه وجهان: الأوَّلُ: عطفٌ على اسم الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾؛ أي: في سبيل المُستَضعفين، وهو تخليصُهم منَ الأَسر، وصَونُهم منَ المشركين وأَذاهم[5]. والثَّاني:

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 1/466.
(2) حومد، أيسر التّفاسير، ص: 568.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/122.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/734.
(5) العكبريّ، التبيان: 1/187.

عطفٌ على (السَّبيل) بحذف المضاف؛ أي: في خلاص المُستَضعَفين[1]، ويجوز أن يكون لفظ ﴿وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ﴾ منصوبًا على الاختصاص، فإنَّ سبيلَ الله يَعُمُّ أبواب الخير، وتخليصُ ضُعَفاء المؤمنين من أيدي الكَفَرَة أَعظمُها وأخصُّها[2]، والمُستَضعَفونَ همُ الَّذين يَعُدُّهُمُ النّاسُ ضعفاء، و(السِّين والتَّاء) للحُسبان، وأرادَ بهم مَن بقيَ منَ المؤمنين بمكَّةَ منَ الرِّجال الَّذينَ مَنعَهمُ المشركونَ منَ الهِجرة، وهُمُ الَّذين كان رسول الله ﷺ يدعو لهم فيقولُ: "اللَّهُمَّ أَنجِ الوليدَ بنَ الوليد، وسَلَمةَ بنَ هشام، وعيَّاشَ بنَ أبي ربيعةَ، والمُستضعَفينَ منَ المؤمنين"[3].ورُوِيَ عنِ ابن عبّاس (رضي الله عنهما) أنَّه قال: "أَنا وأُمِّي مِنَ المُستَضعَفين"[4]. وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡوِلۡدَٰنِ﴾؛ تسجيلًا بإفراط ظُلمهم، حيثُ بلغَ أذاهُمُ الولدانَ غيرَ المكَلَّفين؛ إرغامًا لآبائِهم وأُمَّهاتِهم، ومَبغضَةً لهم لمكانهم؛ ولأنَّ المُستَضعَفينَ كانوا يُشركونَ صِبيانَهم في دُعائِهمُ استنزالًا لرحمة الله بدعاء صغارهم الَّذين لم يُذنِبوا، وذلك كُلُّه للمبالغة في الحثِّ على القتال. وقد غُلِّبَ الذُّكورُ على الإناث، فأُطلِقَ الولدانُ على الوَلائد أيضًا، وكما يُقالُ: الآباءُ والإخوة[5].

الموصوليّة والوصف، وأثرُهُما في توضيح المعنى:

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا﴾: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسمٌ موصول، وفيه وجهان إعرابيَّان: الأوَّلُ: مجرورٌ، وفيه حالتان: إحداهُما: الجرُّ على أنَّه صفةٌ للمُستَضعَفين. والثَّانيةُ: الجرُّ لِمَا في حيِّز البيان[6]، الثَّاني: النَّصبُ بإضمار (أعني)[7]، والقرية:

بيان ظلم المشركين للمؤمنين، وضرورة دفع الظّلم عن المؤمنين

(1) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/542.
(2) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/542.
(3) البخاريّ، الصحيح، الحديث رقم: 804.
(4) البخاريّ، الصحيح، الحديث رقم: 1357.
(5) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/543.
(6) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/735.
(7) العكبريّ، التبيان: 1/187.

هي مكَّة، سألوا الخروجَ منها لمَّا كُدِّرَ قُدسُها من ظُلم أَهلها، أي: ظُلم الشِّرك وأهلِه للمؤمنين، فكراهيةُ المُقام بها من جهة أنَّها صارَت يومئذٍ دارَ شِركٍ ومُناوأةٍ لدين الإسلام وأهله؛ ومن أَجل ذلك أَحلَّها اللّه لرسوله ﷺ أن يُقاتِلَ أهلَها[1]، قولُه: ﴿ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا﴾، (الألفُ واللَّامُ) بمعنى: الَّتي، أي: الَّتي ظَلمَ أهلُها المؤمنين. ولم يُؤنَّث اسمُ الفاعل ﴿ٱلظَّالِمِ﴾، وإن كان نَعتًا للقرية في اللَّفظ؛ لأنَّه قد عمل في الاسم الظَّاهر المذكَّر، وهو (أهلُ)، وكُلُّ اسم فاعلٍ إذا جرى على غيرِ مَن هو له، فتذكيرُه وتأنيثُه على حَسَبِ الاسم الظَّاهر الَّذي عَمِلَ فيه[2]، وكذلك "إنَّما خُفضَ ﴿ٱلظَّالِمِ﴾؛ لأنَّه نعتٌ(صفة) للأهل، فلمَّا عادَ الأهلُ على القرية، كان فعلُ ما أُضيفَ إليها بمنزلة فعلها، كما تقولُ: مررتُ بالرَّجل الواسعة دارُه، ومررتُ برجُلٍ حسنةٍ عينُه "[3]، ومن هنا كان للموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ تعبير بالإجمال عن ألوان المستضعفين رجالًا ونساءً وولدانًا، وهو ما يصوّر الظّلم الصُّراح، والطّغيان البَواح، الّذي سُلّط على الرّقاب، حتّى ضجّت الحناجر بالجأر إلى اللّه أن يتيحَ لهم الخروج من ذلك الظّلم الغشوم، الّذي ناءت به الكواهل، وضاقت به النّفوس، فجاء الوصف بالموصول، مستوعبا لأصناف المظلومين، وجاء الوصف بظلم أهل مكّة، منبئًا عن فداحة المعاناة الّتي وصلت إلى المستوى الّذي لا يقدرون على احتماله، حتّى طلبوا الخروج من مكّة، وهي موئل حبّهم، ومَناط قداستهم، ومَدرج صباهم، وقد عبّر النّبيّ ﷺ عن حبّه لها عند الهجرة فقال: "قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكِ خَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبَّ الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مَا خَرَجْتُ"[4].

أثر التَّأخير والتَّكرير في جلاء المعنى وبيانه في هذه الآية:

في قوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا﴾ كلا الجارَّين ﴿لَّنَا﴾ و﴿مِن لَّدُنكَ﴾ مُتعلِّقٌ بقوله: ﴿وَٱجۡعَل﴾؛ لاختلاف معنَيَيهما، وتقديمُ المجرورَين على المفعول الصَّريح؛ لإظهار الاعتناء بهما، وإبراز الرَّغبة في المؤَخّر بتقديم أحواله، فإنَّ تأخيرَ ما حقّه التَّقديمُ عمَّا هو من أحواله المرغّبة فيه يُورثُ شَوقَ السَّامع لمَا يُقال، ويُنبئ عن كمال رغبة المتكلّم فيه،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/123.
(2) العكبريّ، التبيان: 1/187.
(3) الفرّاء، معاني القرآن: 1/277.
(4) الصّنعانّي، المصنّف: 5/26.

مـــن دلائـــل الرَّغبة، المبالغة الملحّة في حصول المـأمـول، بكثرة السّول

واعتنائه بحصوله لا محالة، وتقديمُ (اللَّام) على ﴿مِن﴾ للمُسارعة إلى إبراز كون المسؤول نافعًا لهم، مرغوبًا فيه لديهم، ويجوز أن تتعلَّق كلمة ﴿مِن﴾ بمحذوف وقعَ حالًا مِن ﴿وَلِيًّا﴾، قُدِّمَت عليه لكونِه نَكِرة، وهذا الكلامُ يَصدُقُ بعينه على قوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾، وتكريرُ الفعل، ﴿وَٱجۡعَل﴾ ومُتعلَّقَيه؛ للمبالغة في التَّضرُّع والابتهال. وأشارتِ الآية إلى أنَّ الله ﷻ استجابَ دعوتَهم، وهيَّأ لهم النّصرَ بيد المؤمنين، كما عبَّرَت عنه الآيةُ التَّالية، بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾[1].

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/735 - 736.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع، سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 7 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-59-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 7 : سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-59-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5066600 بتاريخ 2023/03/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»